بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال: الحج منسَّك من مناسِّك هذه الأمة فرضه اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - على عباده وعلَّمَهُ النَّبِيّ ﷺ أمته فقال: « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ »[١]، وغرض هذا المنسك العظيم إعلان توحيد الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وإقامة الذكر ذكر اللهِ - عَزّ وَجَلّ - وتكريس العبودية له - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لعلكم في مستهل هذا اللقاء تتحدثون حفظكم الله من خلال هذا البرنامج عن مظاهر التوحيد في الحج ؟

الجواب: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَعَلَى آلِهِ وأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد: فإن الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - شرعَ الحجَّ إلى بيته الحرام، حينما قال: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حج الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِن الله غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِين ﴾[آل عمران الاية ٩٧]، فحجُ البيت كل عام فرض كفاية؛ لابد أن يُحج البيت كل سَّنة، فإذا قام به من يكفي سقط الأثم عن الباقيين. وأما بالنسبة للأفراد فإنما أوجبه الله مرة واحدةً في العمر على المستطيع، قال اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾وقال النّبيّ ﷺ« أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كتبَ الله عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا » فَقَالَ رَجُلٌ: " أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟" فسَّكت النَّبِيُّ ﷺ ثُمْ قَالَ:« أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله قَدْ كتبَ اللهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا » فَقَالَ ذَلِكَ الرَجُل: " أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ " فسَّكت النَّبِيُّ ﷺ ثُمْ قَالَ - عَلَيْهِ الصّلاةِ وَ السّلامِ -: « أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كتبَ الله عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا »

[١] رواه مسلم في الحج رقم (١٢٩٧) بلفظ « لتأخذو مناسككم فإني لا ادري لعلي لا احج بعد حجتي هذه ».

فَقَالَ الرَجُل: "أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟" فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « لَوْ قُلْت: نَعَمْ لَوَجَبَتْ كلُ سَّنَة، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ »[١] . فالحجَّ مرةً واحدةً في العمر على المستطيع لأن الحجَّ يؤتى إليه من بعيد؛ وله كُلفةٌ ومشقة، وهو من الجهاد في سبيل الله، ومن فضلهِ وتيسيره - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أن جعله مرةً واحدةً في العمر على المستطيع.

هذا بالنسبة للأفراد؛ أما بالنسبة لمجموع المسلمين فلابد أن يحج البيت كل سنة، ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا ﴾[آل عمران الاية ٩٧]. واستطاعة السبيل هو وجود الزاد والراحلة اللائقين بمثله مما يكفيه ذهابًا وأيابًا، ويكفي خلفه من يموِّنهم مع أمن الطريق، فإذا توفرت هذه الشروط وجبَ الحجَّ على المسلم مرةً واحدةً في العمر وما زاد فهو تطوع. قَالَ ﷺ « تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبَ وَالْفِضَّة »[٢]. قَالَ - عَلَيْهِ الصّلاةِ وَ السّلام - « مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ »[٣].

ولاشك أن شعار الحجَّ؛ شعار المحرم هو التلبية بالتوحيد، « لَبَّيْكَ اللهمّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ » فيُعلن التوحيد للهِ - عَزّ وَجَلّ - كما قال الله - جَلّ وَعَلاَ - ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود ﴾[الحج الاية ٢٦].

[١] رواه مسلم في الحج رقم (١٣٣٧) باب فرض الحج مرة في العمر.

[٢] صححه الشيخ الالباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١٨١/٣) .

[٣] صحيح مسلم برقم (١٣٥٠). وفي الترمذي:«غفر له ما تقدم من ذنبه »انظر صحيح الترمذي (٢٤٥/١) .

فهذا البيت هو مبنيٌ على التوحيد ؛ وإفراد اللهِ - جَلّ وَعَلاَ - بالعبادة، يجب أن يُطهر من الشِّرك ومن البدع والمُحدثات ويُهيأ للمسلمين. فقد قَيَّضَ الله لهذا البيت في وقتنا الحاضر هذه الحكومة الرشيدة التي تقوم على أمر الحجيج والمعتمرين، وتوفر لهم الإمكانيات . هذا من فضل اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - علينا وعلى الناس جميعًا؛ وهى نعمةٌ عظيمةٌ منَّ الله بها على هذه الدولة المباركة، ويسر لها وسخر لها ما تستطيع أن تقوم على هذا الركن العظيم من أركان الإسلام وتوفر للحجاج أمنهم، توفر لهم الأرزاق، توفر لهم الراحة، وهذا من تيسير اللهِ - عَزّ وَجَلّ - لهذا المجتمع المسلم الذي يأتي إلى هذا البيت. كما قال الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [القصص الاية ٥٧].وقال -تَعَالَى- ﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً ﴾ [آل عمران الاية ٩٧] يعني يأمنوه ويسر الله من يُأمن الحجاج والمعتمرين ولله الحمد . وفي كل عصرٍ ييسر الله لهذا البيت من يقوم على شؤونه ويتولى أمر الحجاج والمعتمرين، وهذا من فضل اللهِ وتيسير.

www.alfawzan.af.org.sa

بحمد الله تم

مظاهر التوحيد في الحج

لفضيلة الشيخ الدكتور
صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء